

المستخلص

حيدر فاضل عباس حميد . شعر نزار قباني السياسي (رسالة ماجستير) .- بغداد :
الجامعة المستنصرية : كلية الآداب : القسم اللغة العربية ، ٢٠٠٧

أسفر البحث عن جملة من النتائج هي:

١. إذا كنّا نسلم، أو نكاد، أن سهولة أسلوب نزار قباني المستعصية على غيره، ذات الطراوة المدهشة جناح طائر شهرته، فإننا نجزم، بأن طبيعة الموضوعات التي تناولها الشاعر، هي الجناح الآخر لهذا الطائر.

٢. وجدنا نزار قباني شاعراً إشكالياً مثيراً للجدل، فأشعاره السياسية حكم عليها فريق من النقاد بالمصادرة، ومنحها آخر البراءة والبركة.

٣. نجح الشاعر في إيجاد معجم شعري خاص به، امتاز بالوضوح والسهولة، فألفاظه لا تحتاج إلى استشارة المعجم، فضلاً على اندراج هذه الألفاظ في تعبير واضح، ومفهوم.

٤. معجم الشاعر السياسي ذو دلالات حسية، فهو حين يتحدث عن مسائل معنوية يلقي عليها ظلالاً من معجمه الحسيّ (الغزلي) المعروف.

٥. يستثمر الشاعر كثيراً أسلوب المفاجأة، التي حققت لنصّه الشعري التلقي الجمالي.

٦. لم يرفض الشاعر التراث العربي -كما هو شائع عنه- وإنما رفض تمجيد الماضي والاستئمامة لسحره من غير أن يكون لهذا الماضي تأثير في الحاضر. فلا تكوّن قصائده السياسية تحدياً للتراث وإنما خروجاً به إلى تجربة الإنسان المعاصر. ولهذا نرى الشاعر كثيراً ما يستحضر الماضي (التراث، والطفولة، والذكريات، والآباء، والأجداد)؛ ليحدّ من سطوة الحاضر المؤلم عليه.

٧. جاءت قصائد نزار قباني السياسية - إلاّ أقلها- ثأراً للكرامة العربية السلبية. إذ اتضح أنّ نتاج الشاعر السياسي، إبداع في أكثره، وابتدال في أقله.

٨. ما دام نزار قباني يعيش أجواء الطفولة فإنه يبديع عوالم شعرية، قد يقف المتلقي منها موقف إعجاب قريب جداً من موقف الافتتان، ولكنه حين يحاول أن يكون صاحب

رؤيا تنظيرية، فإنه يقع في فشل مزدوج: يفقد سحر أسلوبه المدهش وطرأوته الجاذبة، ولا يظفر برؤيا واضحة وناضجة للأحداث. فكأنما هذا الشاعر كماله في نقصانه.

٩. على الرغم مما قيل عن نتاج الشاعر السياسي، وما امتاز به من الجرأة في التصريح، والتعرض لبعض القضايا التي لها شأن ديني، وطرأوة أسلوبه المدهش، وأناقته اللغوية المتفردة، تبقى المعالنة الحسية الحادة معلماً للشاعر، ومظهراً لذاته الشعرية، وجزءاً لا يتجزأ من آية فتونه الكبرى.

١٠. الوطن في قصائد نزار قباني السياسية - في الأغلب - يأخذ شكل امرأة حسية، فقد ظلت المرأة (الجسد) هاجساً متسيداً في قاع وجدانه الشعري، يطفو على سطح قصائده السياسية بوعي من الشاعر، أو من غير وعيه. فالشاعر وإن تقدم جواده الغزلي في السن ظلّ يحمل صهيله في داخله.

١١. عقد نزار قباني صلحاً مدهشاً بين اللغة الشعرية الجزلة، ولغة الحياة اليومية المرنة. ولا أكون منصفاً إن لم أنسب إليه، عقد هذا الصلح، فلربما كان نزار قباني أبرع شعراء العربية في فن التوصيل، فلم يكن بينه، وبين قارئه حجاب اللغة. إذ أنّ تعامله مع اللغة يكشف عن وعيه بخصوصية اللغة، ويدرك فاعليتها أداة في صياغة النصّ.

١٢. إذا كان الجسد الأنثوي نشيد إنشاء الشاعر في أشعاره الغزلية فإن المرأة في قصائده السياسية لم تكن مقصد الشاعر المباشر، وإنما كانت معادلاً موضوعياً للغيبوبة القومية والإنسانية.

١٣. في خطاب الشاعر السياسي، فضاء واسع من الرفض، تغني في آفاقه المفتوحة، ذاته الشعرية نشيد تمردها؛ ليمارس معها قارئها هذا التمرد، وذلك الرفض؛ ليتصل بفردوس البطولة الغائب.

١٤. قصيدة نزار قباني فعل إغرائي تواصلتي يعقد صلحاً بين "الأنا" القارئة، ورغباتها المقموعة. فهي مسعى تعارفي تكشف عن ميول سوية، وغير سوية، بين القارئ وعقده المستخفية التي تملق إليها الشاعر كثيراً.

١٥. يُلاحظ أن قصيدة نزار قباني قليلة اللجوء إلى التشكيلات البلاغية المعقدة؛ ذلك أنّ المضمون الشعري هو الذي أخذ دوره في التعبير عن نفسه من خلال أسلوب النداء والاستفهام؛ إذ كونا أثراً مهماً في بلورة المعنى، واتساع فضاءه الدلالي، وكذلك فإنّ تكرار

الأساليب متشابهة البناء خلق جواً مأنوساً بين الشاعر والمتلقي، ولذا فقصائده أعطتنا نفسها بيسر.

١٦. شعر نزار قباني السياسي، إباحي فاضح، استفزازي صادم، ولكنه في النهاية واقعي، فالشاعر متغلغل في بيئته، وبيئته متغلغلة فيه، كأكمل ما يكون التداخل والالتحام. فهو يأخذ منها المحسوس والملموس، بيد أن تعامل الشاعر المدهش في توظيف اللغة، رفع هذا المحسوس وذاك الملموس، الذي التقطه من بيئته، إلى مدارج الإبداع الفني الخلاق.

١٧. إذا حاولنا أن نفتش عن أرض مشتركة بين نتاجي الشاعر الغزلي والسياسي، لأمكن أن ننسج من رفضه خيوطاً تشدهما أكثر مما تفرقهما. فنزار قباني شاعر شهرياري مزهو بنفسه في نتاجه الأول (الغزلي)، ومحبط يلتذ بجُلد نفسه، وأمنه في نتاجه الثاني (السياسي)، ولا عُرواً في ذلك، فالزهو والإحباط مظهران لعقدة واحدة، هي عقدة الاضطهاد الطاغية على الشاعر حتى الاختناق.

١٨. جمع نزار قباني في شعره السياسي نسباً متناسقة من الواقعية والخيال، فلا واقعيته بلغت مستوى الجفاف والغلظة، ولا خياله صعد إلى ذروة شاهقة لا يصلها الجمهور. فلم يؤطر شعره السياسي بالفلسفة، أو الخيال البعيد، وإنما كان مشاهد يومية تستبطن الفعل السياسي، نراها في إطار من الطفولة والجمال.

١٩. تضافرت الاستعارة في شعر نزار قباني السياسي مع بقية فنون البيان؛ لتكوّن جوهر رؤاه الجمالية التي تنداح على تضاريس نصه الشعري فتشد مفاصله من جهة، وتجنبه الوقوف في منعطفات السكونية الخطرة من جهة أخرى.

٢٠. الكناية في شعر نزار قباني، نصّ جديد، تنتفي فيه المرجعيات الجاهزة، والإسقاطات الخارجة عليه. إذ انبثقت الكناية عنه كما ينبثق العطر من الزهر، أو كما يصحبه.

٢١. إنّ التوتر الرابض في قلب نص نزار قباني الشعري، يبقى جنينياً حتى يتلامح فجأة - وبشكل صارخ- في نهاية المقطع، أو في نهاية القصيدة، مما يحقق المفاجأة والذهول. ولكن بؤرة الإضاءة (لحظة التنوير النصي) هي ذاتها بؤرة التأزم النفسي (لحظة الاختناق الفكري)؛ ولذا تبدو قصائده أثراً انفعالياً يمكن ممارسته أنياً، أكثر منه موضوعاً يمكن تحديده بدقة.

٢٢. إن الإيقاع الذي غرسته حروف الشاعر، وروته عذوية تراكيبه المتلائمة، أثمر ثماراً طيبة إذ آتى أكله في القافية التي جاءت منسجمة مع إيقاعه العام.

٢٣. استوت ظاهرة التكرار عند نزار قباني على سوقها، إذ لا يجد الشاعر حرجاً من تكرار فقرات بأكملها وبرغم ذلك لم تزد النص إلا بلاغة وجمالاً وكمالاً حتى نمتلى بالتأمل. فقد كان ظاهرة مستديمة في لغة شعره، حقق الشاعر من خلالها - في الأغلب - ثراءً نغمياً، بصرف النظر عن كونه خياراً أولاً، أو حاصلًا نصياً، تصطبغ به القصيدة بنغم تسجيبي طروب، يوفر مزيداً من مناخ الارتياح السماعي لأشعاره، يجذب إليه المتلقي بقوة خفية فيستسلم لتلقي القصيدة.

٢٤. تمكن نزار قباني من إيقاظ دلالات جديدة في بعض ألفاظه عن طريق الجناس، ولذا لم يكن وروده في شعره رجعة إلى اتخاذ الحلى البديعية معوضاً عن الخواء في الرؤى والمعاني، ولاسيما إن الشاعر لم يتقصده، وإنما جاء عفو خاطر فرحب به نصه الشعري واحتضنه أداة للاتساع في المعنى، وأداة لتعزيز حيوية الإيقاع.

٢٥. جمال الطباق في شعر نزار قباني السياسي جاء نابغاً من عرض المتضادات في نسق إيقاعي مؤتلف يثير الانتباه إلى الفكرة بشكل جميل فيشتد رسوخها في النص.